كيف تحدث القرآن الكريم عن



الجمال بعض آيات الله تعالى التي أبدعها وأودَعَها في خلقِه، وطلب الإنسان أن ينظر فيه ويستجلي أسراره، ويستقبل تأثيراته، ويعتبر به، والجمال يَعُم أرجاءَ هذا الكون، ابتداءً من الإنسانِ وانتهاءً بأصغرِ دابةٍ تدب على وجه الأرضِ، أو طائرٍ يطيرُ بِجناحَيهِ كالفراشةٍ وغيرها، قال الله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:5-6].

المنافع المادية

المنافع المعنوية

لماذا قدَّمَ الباري سبحانه (تُرِيحُونَ) على (تَسْرَحُونَ)؟

الجمال يكون في الصورة بحسن التركيب، يدركه البصر، ويكون في الأخلاق كالعلم والحلم والعفة، ويكون في الأفعال التي تجلب المنفعة للناس، وجمال الأنعام من النوع الأول، ومن جمالها كثرتها ودلالتها على أن صاحبها من أهل السعة واليسار والغنى، فيقول الناس إذا رأوها: هذه نَعَمُ فلان، فيفرح أهلها، ويُجَلُّون في عيون الناظرين إليها، وتكسبهم الجاه والُحرمة عند الناس، ويحمل صاحبها على شكر الله تبارك وتعالى على وافر نِعَمِه.

وقوله «تُرِيحُونَ» من الإراحة، يقال: أراح فلان ماشيته إراحة، إذا ردها إلى المَراح، وهو منزلها الذي تأوي إليه، وتبيت فيه، و«تَسْرَحُونَ» من السروح، وهو الخروج بها غدوة من حظائرها إلى مسارحها ومراعيها.

وقدم- سبحانه - الإراحة على التسريح، مع تأخر الإراحة في الوجود؛ لأن الجمال عند الإراحة أظهر وأجمل وأقوى وأفخر وأنضر وأبهج، حيث تُقبل من مسارحها وقد امتلأت بطونها، وحفلت ضروعها، وازدانت مشيتها، مع تجاوب الثغاء والرغاء، والثُّغاءُ: صوتُ الشاة والمَعَز وما شاكلها، والرُّغاءُ: صَوتُ ذواتِ الخُفِّ كالإبل.

وخص الباري سبحانه هذين الوقتين بالذكر، (الغدو والرواح) لأنهما الوقتان اللذان تتراءى الأنعام فيهما، وتتجاوب أصوات الثغاء والرغاء جيئة وذهاباً، ففي الصباح نغدو، إذ الغُدوة: أول النهار، والرَّوَاحُ :اسمٌ للوقْتِ من زوال الشمس إلى الليل، وكلمة الرَّواح مشتقة من الراحة والاستراحة، ومنه الحديث الشريف: (منْ غدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أعدَّ اللَّهُ لَهُ في الجنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدا أوْ رَاحَ) [متفقٌ عَلَيهِ]، أما الدُّلجةُ: فالسَّفَرِ أوَّلَ اللَّيلِ، ومنه الحديث: (عليْكم بالدُّلجةِ فإنَّ الأرضَ تُطوَى باللَّيلِ) [رواه أبوداود].

وبتدبر الآية الكريمة {تُرِيحُونَ وَتَسْرَحُونَ} نجد أن الله تعالى ذكرهما بالفعل المضارع، وذلك لإفادة التجديد والتكرار، فالفعل المضارع يدل على الاستمرار والديمومة والتجدد، وفي ذلك ما يزيد السرور بالأنعام وجمالها.

إن الجمال ثالث ثلاثة من القيم التي شغلت الفكر البشري منذ بدأت المسيرة الإنسانية على وجه الأرض، وتلك القيم هي: الحق والخير والجمال، والله تعالى هو مصدر القيم الثلاثة، ولو لم يكن للجمال أهمية إلا حُبُّ الله تعالى له لكفى، قال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ)[رواه مسلم].

كما جعل الله تعالى الحُسن والجمال في كل شيء خلقه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:7]، فحيثما اتجهت ببصرك فثمة ما يجذبك، تأمل الليل الهادئ، وصفاء السماء، وتلألؤ النجوم، تأمل القمر وضياءه الفضي، تأمل الشمس وخيوطها الذهبية، تلك اللآلئ البراقة من الندى، تأمل الورود والزهور بألوانها العجيبة وأريجها العبق، تأمل تلك الفراشات السابحة في الفضاء، وخرير المياه المتدفق والعذب النمير، وانسياب الأنهار والعيون والشلالات الذهبية، تأمل خيوط الحرير الناعمة، وصلابة الصخور

والإنسان المتأمل في كل ذلك يرى الإعجاز في الكامن والكائن، والقرآن الكريم يسجل جميع هذه اللحظات الجمالية لبديع صنع الخالق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:88].

وهو سبحانه أحسن الخالقين، وأسماؤه وصفاته كلها جمال، وهي الأسماء الحسنى، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:110]، أي: سَمُّوا المعبود بحق بلفظ (اللَّهَ) أو بلفظ (الرَّحْمَٰنَ) بأي واحد منهما سميتموه فقد أصبتم، إذ ليس له اسم غير حسن.

هل الجمال حقيقة أو شعور نفسي تجاه الشيء؟

هناك اختلاف هل للجمال حقيقة موجودة؟ أم هو مجرد شعورٍ نفسيٍ؟

فمنهم من قال بأن الجمال مجرد شعور نفسي؛ ولذلك قد يكون الشيء في نظرك حسنًا وفي نظر غيرك قبيحًا، إلا أنني أرى أن الجمال حقيقة، لأن القرآن الكريم رتب الآثار على رؤية الجمال وجعلها عامة فقال سبحانه: ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة:69]. وهي عامة تشمل كل ناظر، ولو لم يكن الجمال موجوداً فيها لما كان السرور عاماً يتناول كل من رآها.

هل الجمال ضرورة أو ترف وكمال؟

يرى البعض أن الجمال ترف وكمال وليس ضرورة، وإنما ذكر مقترناً مع المنافع الضرورية للإمعان بالامتنان، لكنني أراه ضرورة، إذ يراه من يشعر بالجمال ويعيشه بوجدانه وأحاسيسه ضرورة، فالنِّعم التي يتنعم بها الإنسان ليست مادية فقط، بل نِعَمٌ معنوية أيضاً، تغذي الوجدان والإحساس، فكما للجسد غذاء لا يحيا بدونه، كذلك الجمال غذاء للروح، والروح تحتاج إلى الجميل سبحانه وتعالى، الذي هو مصدر الجمال وخالقُه، فإذا ارتبط الجمال بالباري سبحانه كان دليلاً على وحدانيته؛ أفلا يكون الجمال ضرورة؟!

رباعية الجمال في القرآن الكريم

لقد نشأ الاهتمام بالجمال في الإسلام منذ نزول أولى الآيات المكية، فالله سبحانه وتعالى يُعبَد بالجمال، الجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، وجمع القرآن الكريم بين جمال الخَلْق وجمال الخُلُق، فذكر الله تعالى في القرآن الكريم أربعة أشياء، أمرنا بهنَّ ووصفهنَّ بالجمال: (الصبر الجميل، والتسريح الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل) فما معنى كل من هذه الرباعية للجمال؟

إن القرآن الكريم جميل بما يحمل من قيم، ويرى الجمال في الظاهر والباطن، بل ربط القرآن الجمال بأصعب الأخلاق والصفات؛ ليخفف من آثارها السلبي.

أولاً: الصبر وهو أمر شاق على النفس، والإنسان بطبيعته إذا مرَّ بظرف صـعب ابتدأ بالشكوى، فجاء التعـبير القرآنـي: ﴿فَصَـبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:18] حكاية عن يعقوب عليه السلام حين أدرك ما فعله أبناؤه بأخيهم يوسف عليه السلام، وكررها مع فقدان ابنـه الثانـي، والصـبر الجميـل: صـبر بغيـر جزع ولا شكوى إلـى المخلوق، قال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، أما الشَّكْوَى إلَى اللَّهِ تعالى فلَا تُنَافِي الصَّبْرَ الْجَمِيلَ.

ثانياً: الطلاق: وكذلـك هـو أمـر شاق علـى المرأـة، فجاء الأمـر بالتسـريح الجميـل، فقال تعالـى: ﴿وَسَـرِّحُوهُنَّ سَـرَاحًا جَمِيلاً﴾ [الأحزاب:49]، أي: خلوا سبيلهنَّ بالمعروف من غير ضرار، لأن الطلاق يرافقه إيذاء نفسي كبير، مع الإيذاء المادي، فجاء الأمر بتخفيف تلك الآثار بأن يكون السراح جميلاً؛ فيخلو من التعنت والأذى والعضل والعنف، فالسراح الجميل: المفارقة بالإحسان، ويكون بعد طلاق الزوجة، بأن يعطيها حقها وفوق حقها، فيتعامل معها بالفضل لا بالعدل.

ثالثاً: الهجـر الذي يعني القطيعـة وعلاقات سيئة، أمـر الباري سبحانه أن يكون جميلاً، فجمـع بيـن قطـع العلاقات، وجمال التعامـل، فيكون الهجـر الجميـل: هـو هجـر بلا أذى، قال اللـه تعالـى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠] أي: اهجر المشركين دون غضب، ولا تترك أثراً سلبياً في قلب من هجرتَه، اهجرهم دون أذى من سبٍّ أو ضربٍ أو نحو ذلك، أما هجـر المسلم فلا يجوز، لقولـه عليـه السلام: (لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ، يَلْتَقِيانِ؛ فَيَصُـدُّ هذا، ويَصُـدُّ هذا، وخَيْرُهُمـا الذي يَبْدَأُ بالسَّلامِ) [رواه البخاري].

رابعاً: الصفح الجميل: فقد أمر الباري سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يصفح صفحاً جميلاً عن أعدائه الذين آذوه، والصفح الجميل: العفو مع الرضا بلا معاتبة، قال تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، فاعف عنهم عفوًا حسناً، وهو الصفح الذي لا أذية فيه، بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان، فالصَّفْحُ: أبلغ من العفو، وأعلى درجة من العفو، لأن العفو معناه: التجاوز عن خطأ المخطئ، بينما الصفح هو مقابلة الإساءة بالإحسان، لذا قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور:22] أي: قابلوا إساءة المسيء بنسيانها وبمقابلتها بالإحسان.

كيف تحدث القرآن عن الجمال؟

الألفاظ المقاربة للجمال: ذكر الله تعالى ألفاظاً مقاربة للجمال، منها:

1-الزينة: وهي ما يتزيَّنُ به الإنسان من لبسٍ وحلي وأشباه ذلك، وتنقسم إلى قسمين:

الأول: الزينة الخلقية: وهي أصل الزينة وجمال الخلقة، مثل: ريش الطاووس، وعَرْف الديك.

الثاني: الزينة المكتسبة: كتزيين المرأة والرجل ليكونا على صورة أبهى أجمل.

قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد:20]، فالزينة هنا هي ضم شيءٍ مرغوب فيه إلى شيءٍ آخرَ ليرغب فيه بما اكتسب به من الجمال

مما يدل على أن القرآن الكريم يدعو كل أحد إلى فعل الزينة وتطبيقها تطبيقًا عمليًا محسوسًا على أرض الواقع، وليس كلامًا يطير مع أدراج الرياح، أكبر دليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:31] فهذه دعوة صريحة للتزين والخروج على الناس بالزينة الرائعة والجميلة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:8] فالزينة تلبية لحاسة الجمال في الإنسان، وحب الزينة فطرة مركوزة في كيان الإنسان.

ولما جعل الله سبحانه الزينة فطرة بشرية، جعله في سياق التفضيل لمعالي الأمور وصالح الأعمال، وبضابط الاعتدال وعدم الإسراف، حتى لا يؤول حب زينة الحياة الدنيا إلى التثبيط عن الواجبات، فتصبح الزينة مهلكة، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:28] فإرادة الزينة أمر يستحق اللوم إذا تعارض مع التواضع للمؤمنين، فالتمتع بالزينة المقترن بالعجب مع نسيان المُنعِم؛ هو تمتع يستحق العقوبة.

2-الحُسن: وهو كل مبهج مرغوب فيه يميل إليه الطبع ويقبله النفس، وكلمة (الحُسن) ومشتقاتها من الألفاظ المحورية في القرآن الكريم؛ فقد جاء في (194) موضعاً، منها (24) بصيغة الفعل، كـ(أحْسَنَ)، و(أحْسِنْ)، و(أحسنتم)، و(أحسِنوا)، و(حَسُنَ)، و(تُحْسِنوا)، و(يُحسِنون)، و(حَسُنت)، وجاء في باقي مواضعه بصيغة الاسم، كـ(الحَسنة)، و(الُحسنى)، و(الإحْسان)، و(الُمحسنون)، و(الُمحسنات)، و(الحِسان)، و(الحُسْن)، و(الحَسَن)، ناهيك عن صيغة أفعل التفضيل (أحْسَنُ) التي وردت بكثرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر:18]

وقال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:8]، أي: وصَّاه فيهما بجميع معاني الحُسن، لأن الحُسْن: هو الاسم العام الجامع لجميع معاني الحُسْن، أما الحَسَن فهو بعض من معاني الحُسْن، لذلك جاء في قراءة حمزة والكسائي: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا﴾ [البقرة:83] أي: قولاً صواباً وحقًّا، لا فاحشاً ولا بذيئاً، فأمر في سائر الناس ببعض الذي أمره به في الوالدين، (وَقُولُوا لِلنَّاسِ) جميعاً مؤمنهم وكافرهم أُمِرْنا أن نقول له قولاً حَسَناً لطيفاً ليّنًا، إنها دعوة إلى حسنِ المعاشرةِ مع الناس جميعاً، وحُسن المعاشرة من جمال الخُلُق القرآني.

3-البهجة: وهو ظهور الحُسن والجمال الذي يفرح به القلب ويُسَرّ، قال الله تعالى: حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ [النمل: 60] أي ذات لون وحُسنٍ يبهج قلب مَن رآه، ويظهر على وجهه أثر السرور، ومنها قوله تعالى: فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ[الحج:5]، أي: من كل صنف من أصناف النبات، التي تُسِرُّ ناظرَها، وتُعجِبُ مُبصِرَها، وتُقِرُّ عين رامِقِها، وكذلك قوله: وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ [ق:7] ونلاحظ أن القرآن خَصَّ البهجة بوصف النبات بما له من نضار يبهج القلب.

الألفاظ المعبرة عن آثار الجمال

1-النُّضْرة: وهي البهاء وحسن اللون في الوجه، كقول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: 22]، أي: وجوه حسنة مشرقة يعلوها النور من أثر النعمة، ولما كان للحُسن أثره البالغ في النفس جعله الله تعالى بعض الجزاء على العمل الصالح، بل هو العنصر البارز في ثواب المتقين، كقوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:11]، أي: وجعلهم يَلْقَون حسنًا في وجوههم، وسروراً في قلوبهم، وقال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين:24] أي: إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة من نضارة وجوههم.

2-السرور: وهو لذٌة في القلبِ عند حصولِ نفعٍ أو اندفاعُ ضررٍ، وأصله إِخْفَاءُ الشَّيْءِ، فَالسِّرُّ: خِلَافَ الْإِعْلَانِ، ذلك لأن السرور فرَحٌ خفي يختصُّ بالقلوب، والسرور من آثار الجمال، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة:69]، أي: يُعجِبُ حسنُها الناظرين إليها، فالسرور أثر من آثار رؤية الجمال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق:9]، أي: وينصرف هذا المحاسَبُ حسابًا يسيرًا إلى أهله مسروراً بدخول الجنة.

3-الحبور: قال الزمخشري: "الحـبرة: المبالغـة فيمـا وصـف بجميـل"، والتحـبير: هـو التَّزْيِيـن وَالتَّحْسِـين، قال اللـه تعالـى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف:70]، أـي: تفرحون وتُسَـرُّون سـرورا عظيماً يظهر حَباره -بفتح الحاء وكسرها- أي: أثره الحسن على وجوهكم وأفئدتكم، فهـو مـن الحَبَر- بفتح الحاء والباء- بمعنى الأثـر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:15]، والفرق بين السرور والحبور، أن السرور: فرح خَفِيٌّ يختص بالقلوب، بينما الحبور: فرح عظيم يظهر أثره الحسن على الوجوه.

4-الفرح: قال القرطبي: "وَالْفَرَحُ لَذَّةٌ فِي الْقَلْبِ بِإِدْرَاكِ الْمَحْبُوبِ، وَقَدْ ذُمَّ الْفَرَحُ فِي مَوَاضِعَ وَلَكِنَّهُ مُطْلَقٌ، فَإِذَا قُيِّدَ الْفَرَحُ لَمْ يَكُنْ ذَمًّا"، والفرح نوعان:

أولاً: الفرح الإيجابي المحمود، وهو على قسمَين:

القسم الأول: فرحٌ في الدنيا: ومنه الفرح بنصر الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم:4-5]، ومنه فرح المؤمنون بفضل الله وبرحمته، قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس:58].

القسم الثاني: فرحٌ في الآخرة: وهو الفرحُ بالجنَّة ونعيمها؛ قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [آل عمران:170].

ثانياً: الفرح السـلبي المذموم: كفرح الكفار بمـا يُصـيب المؤمنيـن مـن الشَّرِّ؛

كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: 120].

ومنه الفرح بالدُّنيا ومكاسبها؛ كقوله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: 26]، ومنه الفرح بالشَّر والفساد، كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران:188].

ومنه أيضاً الفرح بالتَّخلُّف عن طاعة الله تعالى؛ كقوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة:81].

5-المرح: شدة الفرح، قال تعالى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾ [الإسراء:37]، أي: ولا تمش في الأرض مشية الفخور المتكبر، وتقييد النهي بقوله: (فِي الْأَرْضِ) للتذكير بالمبدأ والمعاد، المانعَيْن من الكبر والخيلاء، إذ من الأرض خُلِقَ وإليها يعود، وجديراً به أن يتواضع ولا يتكبر، ومنه قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر:75] تَمْرَحُونَ: أي: تفرحون بالباطل، وهو التوسع في الفرح مع الأشر والبطر، الأشر: كفر النعمة. والبطر: الطغيان عند النعمة، فالأشر والبطر: شدة المرح، والمرح: شدة الفرح.

6-الاستبشار: مأخوذ من البَشَرة: وهي ظاهر جِلْد الإنسان، ويقال: بَشَّرْت فلانًا فاستبشر، أي ظهر على وجهه ملامح الفرح مع نضرة، وذلك أنّ النفس إذا سُرّتْ انتشر الدم في الوجه انتشار الماء في الشجر، واستبشر: وجد ما يبشّره من الفرح، قال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران:171]، ويقال للخبر السارّ: البِشارة والبُشْرَى، ومنه: ﴿يا بُشْرى هذا غُلامٌ﴾ [يوسف: 19]، ولذلك وصفت وجوه المؤمنين يوم القيامة بالاستبشار، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس:38-39]، يعلوها السرور لحسن استقبال الملائكة لهم.

7-الفتنة: فالإنسان حين يرى الجمال يُفتتن به، قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:28] والمراد بالفتنة هنا: ما يَفْتِنُ الإنسانَ ويُشغِله ويُلْهيه عن المداومة على طاعة الله تعالى، فالأموال والأولاد لا يخلوان من الفتنة، واشتغال القلب بهما، وقدم الأموال على الأولاد؛ لأن الفتنة بالمال أكثر، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه:131] أي: لا تَمُدَّنَّ عينيك معجباً إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، فإن كله زهرة الحياة الدنيا، التي سرعان ما تلمع ثم تذبل وتزول.

الألفاظ المعبرة عن بعض وسائل الجمال

1-الِحلْية: وهي كل ما يتزين به من مصوغ من ذهب، وفضة، ولؤلؤ، وغيرها، وهي من وسائل الجمال، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل:14] أي: ومن فوائد تسخير البحر لكم أنه سبحانه أقدركم على الغوص فيه؛ لتستخرجوا منه ما يتحلى به نساؤكم كاللؤلؤ والمرجان وما يشبههما، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف:18]، أي: أيجترئون ويجعلون لله تعالى الإِناث، اللائي من شأنهن أن ينشأن في الحلية والزينة! والاستفهام للإِنكار.

2-الريش: استعير من ريش الطير؛ لأنه لباس وزينة، ولكون الرِّيشِ للطائر كالثياب للإنسان استعير للثياب، وهو لباس للَتجَملِ والزينة زائد عن أصل الحاجة. قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:26]، أي: يا بني آدم قد جعلنا لكم لباسًا يستر عوراتكم، وهو لباس الضرورة، (وَرِيشًا) وهو لباس الزينة والتجمل، ولباسُ التقوى هو خير لباس للمؤمن، لأنه يستمر ولا يبلى، وهو جمال القلب والروح.

3-الزُّخْرُف: وسمي الذهب زخرفاً لأنه يتزين به حلياً من ذهب وغيره، قال الله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ [الإسراء: 93]، أي: من ذهب، والزُّخْرُف يطلق في الأصل على الزينة، وأطلق هنا على الذهب لأن الذهب أثمن ما يتزين به في العادة، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس:24]، وزُخْرُف الأرض ألوان نباتها، أي: تزخرفت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، فصرت ترى لها منظرًا عجيبًا ما بين أخضر، وأصفر، وأحمر وغيره.

4-اللباس: ما يلبس على الجسد ويستره، قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:31] أي: استروا عوراتكم عند كل الصلوات، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحاً مشوهاً، ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ومنه قول الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:23]، لباسهم الدائم في الجنة من الحرير الناعم الفاخر، وَثِيَابُ الْحَرِيرِ أَجْوَدُ الثِّيَابِ فِي الدُّنْيَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَمِنْ أَصْنَافِ ثِيَابِ الْحَرِيرِ: السُّنْدُسُ وهو ديباج رقيق، وَالْإِسْتَبْرَقُ، الديباج الغليظ

وأخيراً: هكذا تحدث القرآن الكريم عن الجمال، فهناك علاقة بين الجمال الطبيعي الذي خلقه الله تعالى، والجمال الإبداعي والفني، بل الطبيعة بأسرها لوحة فنية تفيض بالحس والجمال، وتثير الإعجاب لدى النفوس السوية.

ومن خلال ما مرَّ معنا من نظائر الجمال في القرآن الكريم؛ يترجح عدم وجود الترادف في القرآن الكريم، إذ كل كلمة لها مدلولها الخاص، فالحُسْنُ يختلف عن النضارة، والسرور غير الحبور، والفتنة غير البهجة، والفرح غير المرح، والزينة ليست حلية.

جعلني الله وإياكم في الجنة محبورين

وشكراً لحُسْن إصغائكم

والحُسْنُ من ألفاظ الجمال